

كرم الإمام الحسن (عليه السلام)

<?xml encoding="UTF-8">

تعتبر صفة الكرم و السخاء من أبرز الصفات التي تميّز بها الإمام الحسن (عليه السلام) ، فكان المال عنده غاية يسعى من خلالها إلى كسوة عريان ، أو إغاثة ملهوف ، أو وفاء دين غريم ، أو إشباع جوع جائع ، وإلخ .

هذا وعرف الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) بكريم أهل البيت ، فهو الذي قاسم الله أمواله ثلاث مرّات ، نصف يدفعه في سبيل الله و نصف يبقيه له ، بل وصل إلى أبعد من ذلك ، فقد أخرج ماله كلّ مرتين في سبيل الله ولا يبقي لنفسه شيء ، فهو كجدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) يعطي عطاء من لا يخاف الفقر ، وهو سليل الأسرة التي قال فيها ربّنا و تعالى : (وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) ، (الحشر : 9) .

وآية أخرى تحكي لسان حالهم : (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا) ، (الإنسان : 8 - 9) .

فهذا هو الأصل الكريم لإمامنا الحسن (عليه السلام) الزكي من الشجرة الطيبة التي تؤتي أكلها كل حين ، فمن كريم طبعه (عليه السلام) أنّه لا ينتظر السائل حتّى يسأله ، و يرى ذل المسألة في وجهه ، بل يبادر إليه قبل المسألة فيعطيه .

نذكر بعض الشواهد لهذه الصفة المتميّزة عند الإمام (عليه السلام) :

1- روي أنّ الإمام الحسن (عليه السلام) خرج مع أخيه الإمام الحسين (عليه السلام) و عبد الله بن جعفر (رضوان الله عليه) حُجَّاجاً ، فَجَاعُوا وعطشوا في الطريق ، فمروا بعجوز في خباء لها ، فقالوا : (هَلْ مِنْ شَرَابٍ) ؟

ف قالت : نعم هذه شاة احلبوها ، واشربوا لبنها ، ففعلوا ذلك ، ثم قالوا لها : (هَلْ مِنْ طَعَامٍ) ؟ فقالت : لا ، إلّا هذه الشاة ، فليذبحها أحدكم حتّى أهيب لكم شيئاً تأكلون .

فقام إليها أحدهم فذبحها وكشطها ، ثم هَيَّأت لهم طعاماً فأكلوا ، فلمّا ارتحلوا قالوا لها : (نحن نَقَرُّ من قريش ، نريد هذا الوجه ، فإذا رَجَعْنَا سالمين فَأَلِمِّي بنا فَإِنَّا صَانِعُونَ إِلَيْكَ خَيْرًا) ، ثم ارتحلوا .

وأقبل زوجها ، وأخبرته عن القوم والشاة ، فغضب الرجل و قال : وَيْحَكَ ، تذبحين شاتي لأقوام لا تعرفينهم ، ثم تقولين : نَقَرُّ من قريش .

ثم بعد مدّة ألجأَتْهُمْ الحاجة إلى دخول المدينة فدخلوها ، فمرّت العجوز في بعض سِجَك المدينة ، فإذا بالحسن (عليه السلام) على باب داره ، فَسَلَّمَتْ عليه ، فعرفها الإمام (عليه السلام) ، وأمر أن يُشْتَرَى لها ألف شاة ، وتُعْطَى ألف دينار .

و أرسل معها غلامه إلى أخيه الحسين (عليه السلام) ، فقال : (بِكُمْ وَصَلَك أَخِي الْحَسَن) ؟ فقالت : بألف شاة وألف دينار ، فأمر (عليه السلام) لها بمثل ذلك .

ثُمَّ بَعَثَ (عليه السلام) بها مع غلامه إلى عبد الله بن جعفر ، فقال : بكم وَصَلَك الحسن والحسين (عليهما السلام) ؟ فقالت : بألفي دينار وألفي شاة ، فأمر لها عبد الله بن جعفر بمثل ذلك ، فَرَجَعَت العجوز إلى زوجها بذلك .

2- روي أَنَّ رجلاً جاء إلى الإمام الحسن (عليه السلام) و سأله حاجة ، فقال (عليه السلام) له : (يا هذا ، حَقَّ سؤالك إِيَّايَ يعظم لديّ ، ومعرفتي بما يجب تكبر عليّ ، ويدي تعجز عن نيلك بما أنت أهله ، والكثير في ذات الله عزَّ وجلَّ قليل ، وما في ملكي وفاء بشرك ، فإن قبلت مِنِّي الميسور ، ورفعت عَنِّي مؤونة الاحتيال والاهتمام ، لما أَتَكَلَّفَه من واجبك فعلت) .

فقال : يا بن رسول الله ، أقبل القليل ، وأشكر العطية ، وأعذر على المنع ، فدعا الإمام (عليه السلام) بوكيله ، وجعل يحاسبه على نفقاته حتَّى استقصاها ، فقال (عليه السلام) : (هات الفاضل من الثلاثمائة ألف درهم) .

فأحضر خمسين ألفاً ، فقال (عليه السلام) : (فما فُعلَ بالخمسمائة دينار) ؟ قال : هي عندي ، فقال (عليه السلام) : (أحضرها) ، فأحضرها ، فدفع (عليه السلام) الدراهم والدنانير إلى الرجل ، وقال : (هَات من يَحْمِلُهَا) .

فأتاه بِحَمَّالين ، فدفع الإمام الحسن (عليه السلام) إليهم رداءه كأجور الحمل ، فقال له مواليه : والله ما عندنا درهم ، فقال (عليه السلام) : (لِكَي أرجو أن يكون لي عند الله أجر عظيم) .

3- روي أَنَّهُ (عليه السلام) اشترى بستاناً من قوم من الأنصار بأربعمائة ألف ، فبلغه أَنَّهُم احتاجوا ما في أيدي الناس ، فردَّه إليهم .

4- روي أَنَّهُ (عليه السلام) سمع رجلاً يسأل رَبَّهُ أن يرزقه عشرة آلاف درهم ، فانصرف الإمام الحسن (عليه السلام) إلى منزله ، وَبَعَثَ بها إليه .

5- روي أَنَّهُ قيل ذات مرّة للإمام (عليه السلام) : لأَيِّ شيء لا نراك تردُّ سائلاً ؟ فقال (عليه السلام) : (إِنِّي لله سائل ، وفيه راغب ، وأنا أَسْتَحِي أن أكون سائلاً ، وأَرُدُّ سائلاً ، وَإِنَّ اللهَ عَوَّدني عادة ، أن يفيض نعمة عليّ ، وَعَوَّدته أن أفيض نعمة على الناس ، فأخشى إن قطعت العادة أن يمنعني العادة) .

6- روي أَنَّهُ جاء أعرابي يوماً سائلاً الإمام (عليه السلام) ، فقال (عليه السلام) : (أعطوه ما في الخزانة) ، فَوُجِدَ فيها عشرون ألف دينار ، فدفعها (عليه السلام) إلى الأعرابي ، فقال الأعرابي : يا مولاي ، ألا تركتني أبوحُ بحاجتي ، وأنشر مدحتي .

فأنشأ الإمام (عليه السلام) يقول :

| | |
|----------------------------------|-------------------------|
| نَحْنُ أَنَاسٌ نَوَالِنَا خُضْلَ | يرتفع فيه الرجاء والأمل |
|----------------------------------|-------------------------|

| | |
|---|--|
| تَجُودُ قَبْلَ السُّؤَالِ أَنْفُسَنَا | خَوْفًا عَلَى مَاءِ وَجْهِ مَنْ يَسْأَلُ |
| لَوْ عَلِمَ الْبَحْرُ فَضْلَ نَائِلِنَا | لِغَاصٍ مِنْ بَعْدِ فَيْضِهِ خَجَلُ |

7- روي في (شرح نهج البلاغة) : أَنَّ الحسن (عليه السلام) أعطى شاعراً ، فقال له رجل من جُلَسَائِهِ : سبحان الله ، أُنْعِطِي شاعراً يعصي الرحمن ، ويقول البهتان ؟!

فقال (عليه السلام) : (يا عبد الله ، إِنَّ خير ما بذلتَ من مالك ما وقيت به عرضك ، وإن من ابتغاء الخير اتِّقاء الشر) .

8- أتاه رَجُلٌ يَطْلُبُ حَاجَةً وهو يَسْتَحْيِي مِنَ الحَاضِرِينَ أَنْ يَفْصَحَ عنها ، فقال له الإمام (عليه السلام) : (اكتب حاجتك في رقعة وارفعها إلينا) ، فكتب الرجل حاجته ورفعها ، فضاغفها له الإمام مرَّتين ، وأعطاه في تواضع كبير .

فقال له بعض الشاهدين ما كان أعظم بركة الرقعة عليه ، يا بن رسول الله ! فقال (عليه السلام) : (بركتها إلينا أعظم حين جعلنا للمعروف أهلاً ، أما علمت : إِنَّ المعروف ما كان ابتداءً من غير مسألة ، فأَمَّا مَنْ أعطيته بعد مسألة فإِنَّمَا أعطيته بما بذل لك من وجهه .

وعسى أن يكون بات ليلته متململاً أرقاً ، يميل بين اليأس والرجاء ليعلم بما يرجع من حاجته أبكابة ردّ ، أم بسرور النجح ، فيأتيك وفرائضه ترعد ، وقلبه خائف يخفق ، فإن قضيت له حاجته فيما بذل من وجهه ، فإنّ ذلك أعظم ممّا ناله من معروفك) .

9- تنازع رجلان ، أحدهما أموي يقول : قومي أسمح ، والآخر هاشمي يقول : بل قومي أسمح ، فقال أحدهما : فاسأل أنت عشرة من قومك ، وأنا أسأل عشرة من قومي ، يريد أن يسأل كلّ عطاء عشرة من قومه ، فينظروا أيّ القومين أسخى وأسمح يداً ، ثمّ إذا عرفوا ذلك أرجع كلّ منهما الأموال إلى أهلها ، كلّ ذلك شريطة أن لا يخبرا من يسأله بالأمر .

فانطلق صاحب بني أمية فسأل عشرة من قومه فأعطاه كلّ واحد منهم ألف درهم ، وانطلق صاحب بني هاشم إلى الإمام الحسن (عليه السلام) فأمر له بمائة وخمسين ألف درهم ، ثمّ أتى إلى الإمام الحسين (عليه السلام) فقال : (هل بدأت بأحد قبلي) ؟ قال : بدأت بالحسن ، قال : (ما كنت أستطيع أن أزيد على سيّدي شيئاً) ، فأعطاه مائة وخمسين ألفاً من الدراهم .

فجاء صاحب بني أمية يحمل عشرة آلاف درهم من عشرة أنفس ، وجاء صاحب بني هاشم يحمل ثلاثمائة ألف درهم من نفسين ، فغضب صاحب بني أمية ، حيث رأى فشله في مبادراته القبلية ، فردّ الأوّل حسب الشرط ما كان قد أخذه من بني أمية فقبلوه فَرَحِينَ ، وجاء صاحب بني هاشم إلى الإمام الحسن والحسين (عليهما السلام) يرّد عليهما أموالهما فأبيا أن يقبلاهما قائلين : (ما نبالي أخذتها أم ألقيتها في الطريق) .

من هذه القصص وغيرها الكثير يتّضح لنا كيفية تعامل الإمام الحسن وأهل البيت (عليهم السلام) مع المال ، فهم بتوكلهم على الله حقّ التوكّل ، يعطوا عطاء من لا يخاف الفقر ، لأنّ الشيطان عندما يرى المؤمن يريد العطاء

يوسوس له ويظهر له قيود كثيرة حتّى لا يبذل المال ، يقول تعالى : (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) ، (البقرة : 268) .